اعتصار

ستراودُكَ كوابيسُ لا حصرَ لها، بالليل والنهار ستحاصرُكَ، ستتراءى أمام عينيك، ستعتصر جسدك وتبعث فيه توتُّرات، سينتابك السكوت، سكوت لا مفر منه، لسبب بسيط، لا أحد بجانبك، ستفكر ساعتها في الارتباط بشخص، ستتعجل الزواج، ستدخل على النت، ستحاول إنشاء خطوط دردشة مع كل الأصدقاء، الأصدقاء واحدًا والأصدقاء نصفًا، وستجدُكَ تدور في دوائر متقاطعة، دائرةٌ تدفع بك في دائرةٍ، وأنت لا حول لك، تحاول الخروج من كوابيسك، لكنها لن تدعك تهرب، فأنت هناك، هناك وحدك، لا أحد بجانبك من أبناء بلدك، فقدتَ جلساتِ المقاهي، فقدتَ سندوتشاتِ الفول على أرابسك[1] بجانب المحطة العتيقة، فقدتَ الدردشة الحميمة بالصوت والصورة والهمس والنظرات والأماكن التي يسري فيها الدفء والانتعاش، تشكو همَّكَ، ينصحكَ أصدقاؤكَ بالتريث، فالاستعجال لن يؤدي إلا إلى اقتران مبتور سرعان ما ستتبين مدى نقصه وتشوهه، تجد أن النصائح لا تجدي معك نفعًا، فما يعتصرك يواصل اعتصارَك، وما يجسم على روحك ينهمك في عمله ليدهسَها وينقضَّ عليها،

---

١ أرابسك مقهى بجانب محطة قطار الجيزة.

وعليك أن تتصرَّفَ برسميَّةٍ شديدةٍ، رسميَّة دبلوماسيٍّ بعيدٍ عن وطنه، كلُّ شيء محسوبٌ عليك، كل شيء، حتى الصداقة هناك، وأنت لا حول لك، ستكلِّفُ كل أصدقائك بالبحث لك عن عروس، وسينصحونك بأن ذلك أسلوب لن يحقق لك الراحة، فكيف لك الاقتران بهذه السرعة، تريد حلًّا، وعليك أن تتحمَّلَ ما يُلِمُّ بك لأنك تطلب المال، أحاسيسُك ثَمَنُ مالِكَ القادمِ، لن ترى الحياة مكتملة، ولن تتحقق أنت، فتحقُّقُكَ يعني اكتمالَكَ، واكتمالُكَ نقيضُ ما تحس به، أهلا بك في وطنهم، سيراودك شعور حتى بأن اسمك "سيد" فاقدٌ لمعناه، فلا مجال للسيادة هناك، وكيف تكون سيادة مع الألم والاعتصار والفقد والمرارة وكلِّ ما يتسيد على جسدك وروحك، كلنا أنت وأنت كلنا، الجزء مساوٍ لمجموع الأجزاء، وسترى المعادلات مستعصية والمحاولات فاشلة وعليك أن تتكيف، تقول:

- كيف أتكيَّفُ وأنا لا أتبيَّنُ تكيُّفًا؟

وتقول:

- كيف لي بالانسجامِ وأنا في قمَّةِ التَّضَارُبِ؟

ستقول تدفُّقَاتٍ كثيرةً، تدفقات تسكب فيها تقيُّحَاتِ روحِكَ، وما لروحك بالتئام، بشرى لك، أنت ممثل هذه الأمة، أنت خلاصة الألم، أنت نحن، ونحن بعيدون عنك ولن تجدنا بجوارك في أنهار الفضفضة.

كل ما هو مطلوب منك الآن أن تستدعي مهندس الكمبيوتر النذل على الفور لإصلاح برنامج الماسنجر لك، ونحن في انتظار صوتك.

٢٢ نوفمبر ٢٠٠٥